مخاطبة آي القرآن لوجدان الإنسان وأثره في تقويم السلوك وتحقيق الاستقرار النفسي

ط.د. بوعبد الله نضال د. عبيد حياة
جامعة حمة لخضر الوادي
nidalg1990@gmail.com

تاريخ الاستلام:2018/03/11 تاريخ القبول:2018/07/08

الملخص:

تعالج المداخلة قضية من كبريات القضايا الإنسانية, ألا وهي الوجدان؛ إذ هو صمام الأمان, ومستند الإنسان في سائر تقلبات حياته, أمام تزاحم المصائب وتوالي النكبات.

بناء على هذا يهدف البحث لإبراز خطاب آي القرآن للوجدان, وأثر ذلك في تقويم السلوك وبث الراحة وتحقيق القرار النفسي, وقد تمت معالجة إشكال البحث **وفق المنهج الوصفي والتحليلي**, ليصل في نهايته لجملة من النتائج والتوصيات, من أهم تلكم النتائج, أن الفرد والأسرة والمجتمع الذي لا يعيش إلا لتحقيق غايات دنية, ولا ينطلق إلا بناء على منافع ذاتية, مع خلوه عن معاني الوجدان السامية من حب وإخلاص ورحمة وغير ذلك أرض خصبة لجميع علل وأدواء القلوب والآفات المجتمعية الفتاكة.

الكلمات المفتاحية: القرآن . النفس . الوجدان . أعمال القلوب . الباطن

Abstract:

The present paper deals with one of the most important psychological issues; namely, emotion, which is the safety valve and the guide of the human being in all his feelings in front of the contention of calamities and successive catastrophes. Based on this objective, the present research aims to highlight the 'any' of the Holy Quran to the feeling, and the impact in the evolving the behavior and the spread of comfort and the achievement of psychological stability. The topic of research has been analyzed through a descriptive analytical method to reach a range of results and recommendations, of which the most important was the fact that the individual- family, and society, who lives only for achieving secular goals and proceeds only on the basis of self-benefits, free of meanings of supreme emotions; such as, love, sincerity, mercy,

... etc. will be only fertile ground for all heart diseases and the and deadly pests of the community.
Keywords: Quran, the self, sentiment, hearts' acts, the profound.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد

فإن المنهج الإسلامي يقوم في التغيير الاجتماعي على **إثارة الوجدان وبعث الرغبة في العمل وتكوين الميل**، ثم تحويل الرغبة والميل إلى عمل وسلوك واقعي فيتطابقان، ولنأخذ الصلاة مثلا لذلك, فالصلاة تتحول بالتعود إلى عادة ثابتة تلح على الإنسان ولا يستريح حتى يؤديها، ويسري ذلك على الصوم والزكاة وكل الآداب وأنماط السلوك الإسلامي.(**عاطف السيد** 2008,ص:59)

وسعيا في تحقيق هذا, جاءت الآي القرآنية قَوَارِع تَصُخُّ الْجَنَانَ، وَتَصْدَعُ الْوِجْدَانَ، وَتُفْزِعُ الْقُلُوبَ إِلَى اسْتِشْعَارِ الْخَوْفِ، وَتَدُعُّ الْعُقُولَ إِلَى إِطَالَةِ الْفِكْرِ.(**محمد رشيد رضا**1354هـ ص: (27/1)

ولا يخفى عن كل لبيب ما للوجدان من أهمية بالغة؛ إذ هو ركن أصيل في الإيمان والاعتقاد القلبي, فأعمالُ القلب المقارنة لتصديقِه, مثل حبِّ الله وخشية الله، والتوكُّلِ على الله ونحو ذلك، **أولى بالدخول في الإيمان من أعمال الجوارح باتِّفاق الطَّوائف كلها**.(**ابن تيمية**728هـ ص: (506/7)

وعمل القلب كالمحبَّة له والتوكُّل عليه، والإنابةِ إليه والخوفِ منه، والرَّجاءِ له وإخلاص الدِّين له، والصَّبرِ على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والرِّضى به وعنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذلِّ له والخضوع و الإخباتِ إليه والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرضُ من أعمال الجوارح، و مستَحَبُّها أحبُّ إلى

الله من مستحَبِّها، وعمَل الجوارح بدونها إمَّا عديم المنفعة أو قليل المنفعة. (**ابن القيم**751هـ ص: (121/1).

ومن تأمَّل الشريعةَ في مصادرها وموارِدها علِم ارتباطَ أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنَّها لا تَنفع بدونها، وأنَّ أعمال القلوب أفْرَضُ على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميَّز المؤمن عن المنافق إلَّا بما في قلب كلِّ واحدٍ منهما من الأعمال التي ميزَت بينهما، وهل يمكن أحدٌ الدُّخولَ في الإسلام إلَّا بعمل قلبه قبل جوارحه، **وعبوديَّةُ القلب أعظَمُ من عبوديَّة الجوارح**، وأكثر وأدوم, فهي واجِبةٌ في كلِّ وقت. (ابن القيم751هـ ص: (193/3).

هذا, وإن العناية بالقلوب وأحوالها أجدر وأحرى في زمن قست فيه القلوب فَلَمْ تَعُدْ تَتَأَثَّرُ بِالْحِكَمِ وَالنُّذُرِ, وَلَا بِالْعِظَاتِ وَالْعِبَرِ, وطغت فيه جحافل المادة وارتفعت فيه رايات الشهوة, وفي ذا الصدد يذكر كثير من الخبراء أن جميع الأمراض النفسية وآفاتها وراءها عذاب وجداني.(**مقداد يالجن**1992, ص:8).

ثم إن الإسلام دين الفطرة والوسطية والاعتدال, **متوازن موازن بين العقل والوجدان**, يوقر العقل ويدعو إلى تفعيله وتنميته, يتحدث إلى الوجدان ويحرك ساكنه ويستجيش كامنه, **يستثير التفكير والتأمل في العقل كما يستثير العواطف والنوازع في الوجدان**.(**محمد الأمين**2015)

وخير ما يدل على هذا التوازن تتبع فواصل الآي في القرآن, فقد خاطب الله عز وجل العقل كما في قوله ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ (البقرة: ٧٣) ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ (البقرة: ٢١٩), وخاطب الوجدان كفي قوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﭼ النحل: ٩٠

وكذلك فإن الإسلام وسط بين إطلاق العنان للانفعالات وبين ضبطها, بين المادة والروح, وسط بين كبت الشهوات والميولات وبين الإفراط وانكباب النفس في تحقيق الملذات, اعتدال لا ميل فيه لرهبانية, ولا ولوغ فيه بوحل الشهوانية, قال الله

تعالى: 

المؤاخذة على الحب في قوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ (النساء: ١٢٩) فمع أمر المعدد بالعدل الظاهري, لم يحاسب على ما في وجدانه من ميل لواحدة دون أخرى؛ لِأَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهُ الْوِجدَانُ النَّفسِيُّ وَالْمَيلُ الْقَلبِيُّ، **وَهُوَ مِمَّا لَا يَمْلِكُهُ الْمَرءُ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ اخْتِيَارُهُ وَلَا يَمْلِكُ آثَارَهُ الطَّبِيعِيَّةَ، وَلَوَازِمَهُ الْفِطْرِيَّةَ**, بل قد جزم الله عز وجل باستحالة العدل فيه, ومن أمثلة قهر الصفات الوجدانية للمرء خوف النبي موسى عليه السلام من بطش فرعون وقومه, كما في قوله: (بم بى **بي تج**) (القصص: ٢١), وهذا لا يقدح في صدق إيمان موسى, ولا في قوة عزمه وتوكله على الله عز وجل.(**محمد رشيد رضا**1354هـ, ص: 365)

- **حقيقة الوجدان:**

أما في اللغة, فهو أحد مصادر الفعل وجد, وقيده العرف المتأخر بإحساس الباطن بما هو فيه. (**الزبيدي**1205هـ, ص:(253/9).

أما حقيقته الاصطلاحية عند علماء الإسلام, فأقدم من استعمله . فيما نظرت . الإمام أبو حامد **الغزالي** (505هـ,ص74) **والوجدان هو ما يدركه ويشعر به الباطن دون تدخل العقل والحواس**. (**ابن تيمية**728هـ, ص:(220/9). **ابن القيم** 751هـ, ص:(443/2).

والوجدان قوة غريزية في الإنسان يقصد به الضمير، أو الحاسة الأدبية التي نحكم بها على أعمالنا وأعمال غيرنا بالخير أو الشر, أو هو الموهبة التي نفرق بها بين مواقع القبح ومواقع الجمال.

ويقصد بالوجدان كذلك مجموعة العواطف والانفعالات التي يجدها الإنسان نحو الشيء, ومجموعة الانطباعات التي يتركها الشيء في الإنسان.

هذا, وإنا لا نحبذ الإيغال في استعمال مصطلح الوجدان, وهجر المسميات الشرعية, كاسم التقوى والإيمان والخشية والصدق وغيرها. (**بكر أبو زيد**1429هـ ص:345)

ومن مليح التنبيهات أن القرآن أشار إلى نوعين من أنواع الوجدان:

<u>الأول</u>: **الوجدان الفطري,** وهو ما يستقر لدى نفوس البشر من لدن الولادة من غير حاجة لمعرفة وتعليم خارجي, كتيقن النفس بوجود خالقها وخالق الكون أجمع, قال تعالى: 

- في تحقيق حب الله عز وجل, قال سبحانه: 

- ومنه تحريك القرآن لوجدان الأخوة وشعور الإنسان بغيره, وانظر استعمال القرآن لمعنى الأخوة كقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ (الحجرات: ١٢) 

وقال: (

ث- **<u>الألم والحزن</u>**: وهما من أهم المؤثرات في النفسية البشرية, غير أنهما إذا استعملا استعمالا جيدا ووجها توجيحا حسنا أثّرا تأثيرا إيجابيا وهذا ما سعت إليه الآي البينات, وذلك في:

- تخويف الإنسان بهما؛ جزاء تعديه وظلمه كما مر سابقا.
- دغدغة مشاعره؛ لكي يعمم إحسانه على بني جنسه وغيرهم.
- بث الرجاء في الله, وما عنده في الحال والمآل.

ج- **<u>اللذة:</u>** قد سبق أن حب الإنسان للذة وصف غريزي يستحيل تخلفه عن النفس السوية, وقد خاطبها القرآن في جانبين:

- وعد الناس بالسعادة الأبدية, والفلاح السرمدي مع ما تشتهيه أنفسهم, وتلذ به أعينهم, وقد جاء هذا في آيات وصف النعيم والجنة.
- استغلال حب النفس للمقابل وجزاء الطاعة والامتثال, يقول تبارك وتعالى:  ﴿ ﴾ (يونس: ٢٦) ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ (الرحمن: ٦٠)

ح- **<u>الحمية:</u>** قد عمل القرآن على إثارة الحماسة والغيرة في وجدان الأمة الإسلامية؛ كي تقاوم أدعياء الباطل, وفي تشريع الجهاد في عديد من آي الكتاب, وأثره في دَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ ِأَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالْوِجْدَانِ، فَإِنَّ النَّفْسَ مَتَى تَرَكَتْ صَائِلَ الْبَاطِلِ وَصَوْلَتَهُ وَاسْتِيلَاءَهُ اشْتَدَّ هَمُّهَا، وَغَمُّهَا وَكَرْبُهَا، وَخَوْفُهَا، فَإِذَا جَاهَدَتْهُ لِلَّهِ أَبْدَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فَرَحًا وَنَشَاطًا وَقُوَّةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى:  ﴿ ﴾ (التوبة: ١٤ – ١٥) فَلَا شَيْءَ أَذْهَبُ لِجَوَى الْقَلْبِ وَغَمِّهِ وَهَمِّهِ وَحُزْنِهِ مِنَ الْجِهَادِ.(**ابن القيم**751, ص:(193/4)

خ- **الإخلاص:** وهو أهم ما في الوجدان وأخطره؛ إذ إن المقاصد والغايات هي محرك الأفعال والأقوال, والإخلاص لب التوحيد وأساس الدين, ولذا امتلأت آي القرآن بذكره والتحذير من ضده, قال تعالى چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ چ (البينة: ٥)

د- **الرغبة في التنافس والاقتداء:** إنهما مما اعتنى القرآن الحكيم ببثه في النفوس, وتحريكه في الأفئدة, وذلك باتباع أسلوبين:

- بتنبيه الإنسان أن الكون أجمع قائم بالعبودية؛ حتى يستشعر أنه جزء منه, يقول سبحانه: چ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ چ (الإسراء: ٤٤) (**سعيد حوى**1409هـ ص:(3092/6).
- باستعمال القصص التي تعلي الهمة, وتوقظ الضمير, وتحيي في النفس كل فضيلة, قال الله عز وجل: چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ (الشعراء: ٤٩ – ٥١)

إلا أن حب التنافس والتقدم لا يحمد لذاته, بل لما ينتج عنه من مصالح في الدارين, وفي هذا يقول الله تعالى: چ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى چ (القصص: ٨٣)

2. أثر تنمية المعاني الوجدانية في تقويم السلوك وتحقيق القرار النفسي:

إن المعارف الوجدانية نوافذ يَنظر منها بالبصائرِ إلى عالَم الضَّمائر فتُشاهد القلوبُ ذاتَه وصِفاته، فتعاملُه بما يَليق بجلاله وجمالِه، ثمَّ تأمر الأعضاءَ والجوارحَ بأن تُعامله بما يليق بعظَمَته وكمالِه. (**العز بن عبد السلام**660هـ)

وليعلم أن الوجدان هو السائق إلى الأعمال, ولذا فإن الأغلب أن يقترن اسم الإيمان والعمل الصالح؛ إذ هو الداعي إليه, والعمل لازم من لوازمه, وقد ذم الله من ادعى

صفاء الوجدان وعري عن العمل, فقال عز من قائل: چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ٻ ٻ ٻ

وهو دواء مركب من مجموع أمور, متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره, وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار. (**ابن القيم**751هـ, ص:(250)

- للإخلاص الأثر البالغ في الصدق وإتقان العمل, وفي تفاضل الأعمال وتعاظم الأجور. (**وليد الودعان**2016)
- الرغبة في الاقتداء بالمحبوب وحب التنافس باعثة على الاجتهاد, قال الله عز وجل: 

- إن في مخاطبة حميّة الإنسان بالشكل الصحيح نتيجة بارزة في بعث القوة والشجاعة, وإزالة الذل من قلوب العباد, قال الله تعالى: 

- **الإسراع في استدراك الخلل والقصور الظاهر في مناهج التربية والتعليم, وأنماط التفكير الفردي والجماعي في كافة الميادين, وذلك بالاهتمام بالوجدانيات**, واستغلالها الاستغلال الجيد.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما

قائمة المراجع:

1) أحمد ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**, مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية, ط(1995/1416).
2) أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي: **حجة الله البالغة**, ت: السيد سابق, دار الجيل(بيروت), ط1(2005).
3) بديع الزمان سعيد النورسي: **حقيقة التوحيد**, دار سوزلر للطباعة والنشر(القاهرة), ط2(1988).
4) بكر بن عبد الله أبو زيد: **معجم المناهي اللفظية**, دار العاصمة(الرياض), ط3(1996/1417)
5) سعد شبلي: نظرة على الوجدان الإنساني في المنهج الإسلامي, مقال منشور بموقع الحوار المتمدن:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=300387,بتاريخ:2012/03/24.
6) سعيد حوى: الأساس في التفسير, دار السلام(القاهرة), ط6(1424).
7) عاطف السيد: التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها, دار الفكر العربي(بيروت), ط(2008).
8) عبد الرشيد عبد العزيز سالم: طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها, وكالة المطبوعات والبحث العلمي(السعودية), ط3(1982/1402).
9) عثمان جمعة ضميرية: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية, مكتبة السوادي(جدة), ط2(1996/1417).
10) الغزالي: معارج القدس في مدراج معرفة النفس, دار الآفاق الجديدة(بيروت), ط(1975).
11) محمد رشيد رضا: تفسير المنار, الهيئة المصرية العامة للكتاب, (1990).
12) محمد ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين, ت: محمد المعتصم بالله البغدادي, دار الكتاب العربي(بيروت), ط3(1996/1416).

13) محمد ابن القيم: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل, دار المعرفة(بيروت), ط1(1987).

14) محمد ابن القيم: بدائع الفوائد, دار الكتاب العربي(بيروت), (د ط).

15) محمد ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد, مؤسسة الرسالة(بيروت), ط27(1994/1415).

16) محمد الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس, دار الفكر(بيروت), ط(1414).

17) محمد عبده: رسالة التوحيد, دار الكتاب العربي(بيروت), (د ط).

18) محمد بن عبد الله بن صالح السحيم: الإسلام أصوله ومبادؤه, وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد(المملكة العربية السعودية), ط1(1421).

19) محمد تكديرت: منزلة الوجدان في التربية الإسلامية, مقال منشور بموقع الألوكة: http://www.alukah.net/culture/0/87404/,بتاريخ:2015/06/03.

20) محمد الأمين: هل الدين حكر على الوجدان, مقال منشور بموقع مركز الإشعاع الإسلامي:https://www.islam4u.com/ar/maghalat/ هل-الدين-حكر-على-الوجدان,بتاريخ:(2015).

21) مقداد يالجن محمد علي: علم الأخلاق الإسلامية, دار عالم الكتب (الرياض) ط2(2003/1424).

22) وليد الودعان: أعمال القلوب, مقال منشور بموقع: الألوكة: http://www.alukah.net/sharia/0/101997/,بتاريخ:2016/04/21.